

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس ( ١١ ) : سلوكيات الدعوة .  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-٠٩ .

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل و الوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

سلوكيات الدعوة إلى الله تحتاج إلى :

#### ١ . الجمع بين الأصول و الفروع :

أيها الأخوة الكرام ؛ في لقاء أو لقاءات سابقة بينت لكم أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم

لكن الدعوة التي هي فرض عين تعريفها في حدود ما تعلم ، ومع من تعرف وشرحت هذا مطولاً .

ولكن إذا فكر أحدكم وهو في شهر فضيل أن يدعو إلى الله بطريقة أو بأخرى ، هناك بعض القواعد في الدعوة ، تجعل الدعوة ناجحة ومؤثرة ، من هذه القواعد أن في الإسلام فروعاً و أحكاماً تفصيلية كثيرة جداً ودقيقة جداً ، لكن مع



هذه الأحكام التفصيلية هناك أصول فما لم تجمع في دعوتك بين الأصول والفروع لن تنجح الدعوة ، مثلاً حقيقة هذا الكون ، هذا الكون مظهر لأسماء الله الحسنى ، وصفاته الفضلى ، الله عز وجل :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾

[ سورة الأنعام الآية : ١٠٣ ]

ولكن العقول تصل إليه ، فهذا الكون هو الشيء الثابت ، هناك شمس ، و قمر ، و نجوم ، و كواكب ، و إنسان ، و حيوان ، و نبات ، و جماد ، و قارات ، و بحار ، و بحيرات ، أي شيء لا ينتهي ، كل ما في الكون يدل على الله ، كل ما في الكون يدل على وجوده ، ووحدانيته ، وكماله .

## الكون هو الثابت الأول في موضوع الدين :

لذلك يسمى الكون في موضوع الدين الثابت الأول



الكون هو الثابت الأول في الدين لأنه لا يمكن لأحد أن ينكره

هل يستطيع إنسان كافر أن ينكر وجود الشمس ؟ هناك شمس ، و قمر ، و نجوم ، و جبال ، الآن نباتات ، هناك مليون نبات ، و حيوانات ، و إنسان موجود ، له بنية تشريحية ، بنية فيزيولوجية ، الدماغ أعقد جهاز في الكون ، عاجز عن فهم ذاته ، أنت أمام كم من الآيات لا تعد ولا تحصى ، والقرآن أشار إلى هذا فقال :

### ﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

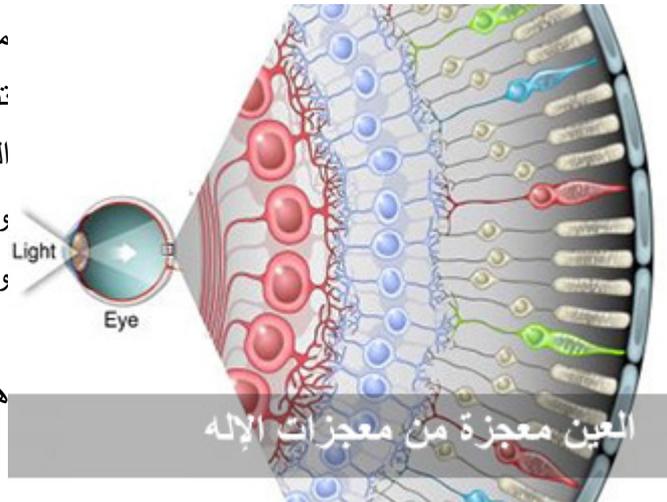
[ سورة الذاريات الآيات : ٢٠ . ٢١ ]

في هذا الدماغ مئة وأربعون مليار خلية سمراء استنادية لم تعرف وظيفتها بعد ، الآن القشرة الدماغية فيها أربعة عشر مليون خلية ، القشرية

محل الذاكرة لا يزيد عن حبة العدس تتسع لسبعين مليار صورة ، برأس معظم الناس ثلاثمئة ألف شعرة ، بكل شعرة وريد ، وشريان ، وعصب ، وعضلة ، وغدة دهنية ، وغدة صبغية ، الله قال :

### ﴿ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

هذا الكون .



العين معجزة من معجزات الإله

### ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

لذلك هناك آيات الله في الكون ، وآيات الله في الإنسان .



إذا كان هناك إنسان يمشي في بستان رأى أفعى ، ما الذي يحصل ؟ صورة الأفعى تنطبع على شبكية العين ، الشبكية تتسع لمليار وثلاثمئة مليون مستقبل ضوئي فيها ، وأحدث آلة تصوير ، الآلة احترافية ، أحدث آلة وقد يصل ثمنها إلى ملايين ، فيها عشرة آلاف مستقبل ضوئي، هذه عينك ، مليار وثلاثمئة مليون مستقبل ضوئي ،

شيء مثل الخيال ، لذلك دقة العين شيء مذهل، العين البشرية تفرق بين تسعة ملايين لون ، إذا درجنا اللون الأخضر وحده ثمانمئة درجة تفرق بين درجتين .

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾

هذا ماء العين ماء ، والماء يتجمد بدرجة الصفر ، لو إنسان ذهب إلى القطب الشمالي والحرارة تقدر بتسع و ستين درجة تحت الصفر يجب أن يفقد بصره ، الله أودع بماء العين مادة مضادة للتجمد . شيء لا ينتهي ، لذلك الإنسان يجب أن يعرف حقيقة الكون ، حقيقة الحياة الدنيا ، من هو الإنسان؟ المخلوق الأول ، لماذا هو مخير ؟ لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، لو أنه أجبرهم على المعصية لبطل العقاب ، لو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة ، إن الله أمر عباده تخبيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً .

### حاجة الدين إلى تبسيط و عقلنة و تطبيق :

إذاً تحتاج إلى أصول مع الفروع ، الكون ، الحياة ، الإنسان ، الاختيار ، لولا أنك مخير يتعطل التكليف كله ، المصيبة حقيقتها ، التكليف ، الخير ، الشر ، الحق ، الباطل ، هذه موضوعات كبيرة تتدرج مع الأصول ، فلا بد في الدعوة إلى الله أن تجمع بين الأصول والفروع . هناك تفاصيل دقيقة للوضوء ، مثلاً مرة إنسان فرنسي جاء إلى مصر ، وطلب أن يتعلم الدين الإسلامي ، كان حظه مع شيخ أبقاه في أحكام المياه ستة أشهر ، فترك هذا العالم ، التقى مع الإمام محمد عبدو قال له : الماء الذي تشرب منه توشأ منه ، انتهت .

نحن الآن بحاجة إلى - وكلامي دقيق ، العصر معقد جداً ، الوقت قليل جداً مع كل إنسان - إلى تبسيط ، وعقلنة ، وتطبيق ، لا تدخل بمताهات لا تنتهي ، نحتاج إلى تبسيط وألا نعمل تناقضاً بينه وبين العقل .

مثلاً البارحة خطر في بالي أن في رمضان صفت أبواب الشياطين ، يا ربي صفتها لنا طوال السنة هذا أفضل ، إذا إنسان ناقشك في هذا الموضوع ، قل له : الجواب ليس كذلك ، مثلاً إذا كان هناك محل يبيع الخمر بحج إسلامي ، أول يوم لم يبيع شيئاً ، و كذلك في اليوم الثاني و الثالث و الرابع و بعد شهر و شهرين فيغلق محله ، فأنت عندما تتوب إلى الله أنهيت عمل الشيطان، معنى صفت يتناسب مع اختيارك ، فلا بد من أن تجمع بين كليات الدين ، حقيقة الكون ، حقيقة الحياة ، الإنسان ، الاختيار ، المصيبة ، التكليف ، الخير ، الشر ، الحق ، الباطل ، هذه واحدة

## ٢ . معرفة الأمر قبل الأمر :

الآن كل الناس بأي بلد ، الموظفون مستويات

أحياناً تأتيك ورقة من دائرة البريد ، تعال غداً الساعة العاشرة تسلم رسالة مسجلة ، لا تتحرك فيك شعرة ، وقد لا تذهب ، لكن أحياناً تأتي ورقة من جهة أخرى ، إذا إنسان دخل لا يخرج ، لا تنام الليل ، ما الفرق بينهما ؟ الأمر .



فلذلك بطولتك أيها الداعية أن تعرف بالأمر قبل الأمر ، إنك إن عرفت الأمر تفانيت في طاعة الأمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الأمر تفننت في معصيته .  
فأنا أكاد أضع يدي على المشكلة الأولى في العالم الإسلامي ، الأمر معروف داخل في المناهج ، بالدراسة ، بالابتدائي ، بالإعدادي ، بالثانوي ، بالجامعة ، أحكام الشرع ، أحكام اللقيطة، أحكام الأمانة ، أحكام ، أحكام ، إذاً من هو الأمر ؟ هو الله ، الله كيف أعرفه ؟ هناك ثلاث قنوات لمعرفة ، خلقه طريق ، وأفعاله طريق ، وكلامه طريق .



لما صنعوا باخرة تيتانيك مع نشرتها :  
إن القدر لا يستطيع إغراق هذه السفينة،  
فغرقت في أول رحلة لها ، وكان فيها  
مليارات من المال .

فالله تعرفه من خلقه ، ومن أفعاله ، ومن  
كلامه ، في القرآن الكريم آية دقيقة جداً  
:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

[ سورة الأنعام الآية : ١١٥ ]

كأن الله يقول لنا : يا عبادي بيني وبينكم كلمتان ، منكم الصدق ومني العدل ، أي تتفاوتون عندي  
بالصدق ، وأنا أعدل بينكم ، هناك رأي آخر أيضاً مقبول ، القرآن حمّال أوجه .

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

كلام الله لا يزيد عن أمر أو عن إخبار ، الأمر عادل ، والإخبار صادق .  
إذاً يجب أن نجمع بين الأصول وبين الفروع ، والأمر قبل الأمر .

### ٣ . الدليل و التعليل :

الآن الدليل والتعليل أنت حينما تقول :  
هذه حرام هذا الدليل ، صار هنا شيء  
مقنع ، إن هذا العلم دين فانظروا عمن  
تأخذون دينكم، ابن عمر دينك دينك إنه  
لحمك ودمك خذ عن الذي استقاموا ولا  
تأخذ عن الذين مالوا.

أنت بالدليل تقوي الحجة ، أو لولا الدليل  
لقال من شاء ما شاء ، لو قلت لكم :  
كل عمان ملكي ، لكن من دون دليل ،

كل عمان ملكي ، كل بيوتها ملكي ، من دون دليل القضية سهلة جداً، من دون دليل يقول من شاء  
ما شاء ، فأنت عندما توطن نفسك ألا تقبل شيئاً بالدين إلا بالدليل ، ولا ترفض شيئاً بالدين إلا  
بالدليل ، انتهى الأمر ، عود نفسك ، اجعل فكرك علمياً ، أخي حرام ، أين الدليل ؟ وعندما أنت  
تعرف الأحكام الشرعية مع أدلتها ينشأ عندك فقه فكري ، أنت عندك فكر فقهي، إذا كان عندك حكم  
شرعي قرأت دليله ينشأ عندك فكر فقهي ، أما من دون دليل ، حرام ، حلال ، لماذا ؟



أخواننا الكرام ، الإنسان عقل ، والإنسان قلب ، والإنسان جسم ، أنت كداعية عندما تغذي له عقله بالعلم ، وتغذي له قلبه بالحب ، وتغذي له جسمه بالطعام والشراب ، نسمي هذه بناء شخصية متوازنة ، أحياناً يكون بالدعوة إلى الله شطحات ، شطحات ، شطحات



إنسان تفقد أخاه عند شيخ قال له : والله هذا هو - هناك قليل من الماء - هذا ذاب بجنبنا فأصبح حفنة من الماء ، هناك شطحات لا تحتمل ، لولا الدليل لقال من شاء ما شاء .  
فيجب أن تخاطب العقل والقلب ، والحقيقة من يصدق أن هناك آية واحدة تخاطب القلب والعقل معاً :

### ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾

[ سورة الانفطار الآية : ٦ ]

من يخاطب ؟ قلبه .

### ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾

[ سورة الانفطار الآية : ٧ ]

فالبطولة أن تجمع بين مخاطبة العقل والقلب معاً ، وطبعاً إذا أنت لك دعوة إلى الله يجب أن تحس أخوانك ليبنوا حياتهم أيضاً ، يأخذ شهادة عليا ، يبحث عن وظيفة معقولة تغطي له دخله ، لا أن تهتم أنه يحضر عندك فقط ، عليك أن تهتم بحياته الشخصية ، تهتم بزواجه ، تهتم بدخله ، تهتم بأولاده ، فلذلك موضوع الدعوة إلى الله قضية كبيرة جداً .

أقول : هناك إنسان يلقي درساً ، و هناك إنسان مربب ، والفرق بينهما كبير ، الإنسان يحتاج إلى شيخ مربب مثلما يحتاج إلى الطبيب أو الصيدلي ، لأن هناك أدوية عديدة ، إذا أردت أن تتعلم التجويد ، هناك عالم للتجويد ، تريد أن تتعلم الفرائض هناك عالم ، تريد شخصاً يستوعبك ، ويضع يده على مشاعرك ، وعلى نقاط ضعفك ، ويرممها ، هذا يسمونه الشيخ المسلك إلى الله ، وهناك شيخ معه معلومات محدودة دقيقة جداً ، فأنت تريد طبيباً و عشرة صيادلة ، أحدهم معه وضعك العام ، والثاني معه أدويتك ، إذا مخاطبة القلب والعقل معاً .

## ٥ . التربية لا التعرية :

الآن التربية لا التعرية ، ليس شرطاً إذا إنسان أحببت أن تكلمه عن الله تفند له أخطاءه كلها بجلسة واحدة ، لن تلتقي به ثانية أبداً ، حاول واحدة ، واحدة .

مثلاً هل هناك أبلغ من تحريم الخمر ؟ لماذا أبقى الله آيات التحريم المتنوعة في القرآن :

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾

[ سورة النساء الآية : ٣٣ ]

الآية بالقرآن ، معنى ذلك أنت عندما تلتقي مع إنسان حديث عهد بالدين ، أعطه بضعة أحكام ، لا تعطه الأحكام دفعة واحدة كي لا ينفر ، تحتاج إلى حكمة .

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

[ سورة البقرة الآية : ٢٦٩ ]

إذا التربية لا التعرية .

## ٦ . التيسير لا التعسير :

شيء آخر : التيسير لا التعسير ، شاهد ذكرته أنه أبواه ستة أشهر في أحكام المياه ، فخرج من جلده ، قال له محمد عبدو العالم الكبير : الماء الذي تشربه توضحاً منه ، ضغط الستة أشهر بكلمة . فنحن الآن بحاجة إلى تقديم معلومات دقيقة ومختصرة ، طبيعة الحياة والوقت لا يسمح ، الآن أنجح موضوع يعرض باليوتيوب ، أو بالتلفزيون الذي وقته يقدر بعشرين دقيقة ، أو خمس عشرة ، أو عشر دقائق ، هناك درس بخمسين دقيقة لا يتابعه أحد .

## ٧ . الإحسان قبل البيان :

أخواننا الكرام ، هناك شيء آخر : الآن الإحسان قبل البيان ، أمامك إنسان افتح قلبه بإحسانك ، ليفتح عقله لبياناتك .

(( يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم ))

فإن النفوس جبلت على حب من أحسن

إليها وبغض من أساء إليها ((

[ حديث قديسي ]

فعود نفسك إذا أردت أن تقنع إنساناً بالدين كن معه محسناً ، بحاجة إلى

بعض المعلومات بالرياضيات ، وأنت أستاذ رياضيات ، اجلس معه جلسة أو جلستين أمل قلبه لك ،



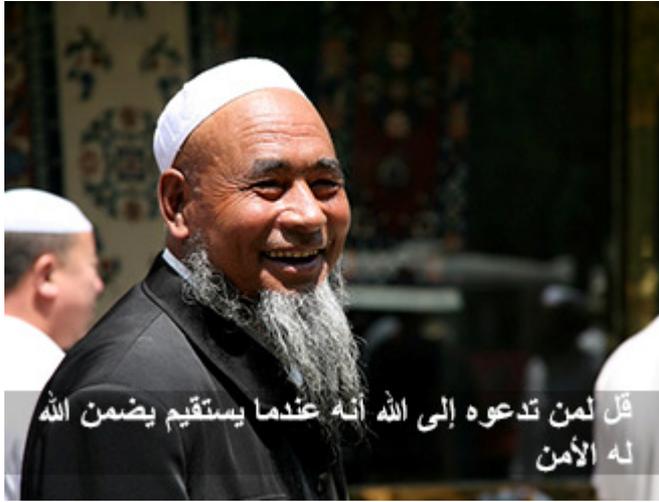
مال قلبه تستطيع بعد ذلك أن تقنعه بالدين ، افتح قلب من تخاطبه بإحسانك ليفتح عقله لبيانك لذلك:

(( يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ))

إذا الإحسان قبل البيان ، التيسير لا التعسير ، التربية لا التعرية ، مخاطبة القلب والعقل معاً ، الدليل والتعليل ، الأمر قبل الأمر ، الأصول قبل الفروع .

## ٨ . القدوة قبل الدعوة :

آخر شيء : القدوة قبل الدعوة ، يكفي أن تكون أباً لم يسمع منك ابنك كلمة بذينة ، ولا سياباً ، ولا موقفاً عنيفاً ، سلوكك هذا أكبر دعوة لأولادك ، و لو لم تتكلم بأي كلمة ، القدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان ، والتيسير لا التعسير ، والتربية لا التعرية ، ومخاطبة القلب والعقل معاً ، والدليل والتعليل ، والأمر قبل الأمر ، والأصول قبل الفروع ، هذه كلها يمكن أن تجدها بموقعي بالانترنت ، أصول الدعوة إلى الله يحتاجها كل إنسان ، اكتبها عندك ، إذا مشيت مع أخ بهذه الطريقة قلبته ، وأقنعت بالدين .



قل لمن تدعوه إلى الله أنه عندما يستقيم يضمن الله له الأمن

مرة كنت بالمدينة المنورة خرج صوت من المئذنة جميل جداً ، وهناك أجهزة تكبير صوت رائعة ، عن عتق العبيد ، أي عبيد ؟ هذا الموضوع لا يهم أي إنسان بالأرض ، أي عبيد ؟ الأمم صارت مستعبدة ، يجب أن تختار موضوعاً له علاقة بحياتك يسمونه موضوعاً ساخناً ، انظروا لهذه الكلمة ما أدقها : عندما تربط الدعوة بحاجات

الإنسان الأساسية ، الإنسان يحتاج إلى أمن ، أنت يجب أن تقنعه عندما أنت تستقيم الله يضمن لك الأمن ، والدليل :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[ سورة الأنعام الآية : ٨١ . ٨٢ ]

المؤمن وحده يتمتع بالأمن .

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾

[ سورة التوبة الآية : ٥١ ]

﴿ إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾

[ سورة فصلت الآية : ٣٠ ]

هناك آيات كثيرة جداً و عندما أنت تربط حاجات الإنسان الأساسية بالدين فيحب هذا الإنسان الدين، أما أعطه موضوعات لا علاقة له بها ولا تمس أحداً ، عتق العبيد الآن بالمفهوم الشرعي ما عشناه إطلاقاً ، أو تجده مثلاً يصف الصحراء ، قاعد بمدينة ، وصخب ، وضجيج أي صحراء ؟ هناك موضوعات ساخنة ، موضوعات تمس حياة الإنسان ، موضوعات ترتبط بحاجاته الأساسية ، موضوعات متعلقة بطموحه ، فكلما ربطت الدين بحاجات الإنسان الأساسية تلقى أذناً صاغية ، أما إذا ربطته بحاجات موهومة أو غير موجودة فتلقى رفضاً كبيراً .

**والحمد لله رب العالمين**